الجسر

تمثيلية إذاعية

بقلم فاضل السباعي

الاشخاص : الرقيب ، صدى خطيبته ، العريف
المكـــان : في الجبهة
الزمـــان : منتصف الليـــل

(١)

الرقيب : هل بلغك ما اعتزمته سريتنا ، ايها العريف ؟

العريف : لم يبلغني شيء ، يا حضرة الرقيب !

الرقيب : الجسر .. الذي يقيمه العدو ..

العريف : ما لـــه ؟

الرقيب : سنغير عليه الليلة .. سندمره .

العريف : (في لهفة) الليلة ؟!

الرقيب : ذلك ما استقر الرأي عليه . سنمضي كلانا : انت وانا ، ومن ورائنا حامية شديدة المراس .. ولا نعود الا وقد انجزنا المهمة ،

العريف : يا للفرحة ! يا للفخار ، متى سنمضي ؟

الرقيب : أراك متعجلا نسفه !

العريف : تعجل العدو في بنائه

الرقيب : ليتعجلوا بناءه ، وليبذلوا في سبيله ما يبذلون . فلـن يعيينا نسفه ، بعد قليل ، في خمس دقائق . (فترة ..) اني كلما ادرت الى الجسر طرفي، شعرت بالغصة في حلقي . اني احس به قذى في عيني . ان اتم العدو بناءه ، فسيكون ممرا الى « الارض المجردة » : يزرعونها ويمرحون فيها ، ويقيمون ما يشاءون من مراكز دفاع .

العريف : (في عزم) ولكنا نتيح لهم ان يعبروه .

الرقيب : اتستطيع ان تصدق اننا ، نحن الاثنين ، سنضع حدا للمشكلة التي ملأت الاذهان طويلا ، في بلدنا وفي المنظمة الدولية ؟! كم من احتجاج سطر وبراهين سيقت للتدليل على عدم شرعية بناء الجسر، وما اصفى لندائنا انسان ، في حين كان الجسر يسير حثيثا نحو الكمـال !!

العريف : تلك امور لا يحلها البرهان المنطقي ... ولكن كمية من المتفجرات مع قدر من الشجاعة ، كفيلان باطفاء جذوة المشكلة .. وان لدينا المتفجرات ، وان مزيدا من الشجاعة ليصطخب في نفوسنا الظامئة المتحرقة .

الرقيب : مشكلة كبرى ... لها حل صغير ، صغير جدا ، يخمد حسها ويكتم انفاسها فلا تصعد منها بعد ذلك زفرة ! ماذا لو اكثرنا من الحلول الصغيرة لدى معالجة مشكلاتنا الكبرى التي تشغل علينا العقول والالباب ؟ لو كنا صابرنا النفس اكثر مما صابرنا ، لامتد الجسر ، فكان للعدو ممرا يصلهم بالارض المجردة ، فاذا هم مصدر قلق دائم لنا ، هنا على الحدود ؟ !

العريف : لعل هذا الحل الصغير فاتحة حلول صغيرة تالية . وان لنا شرف الطليعة السباقة .

الرقيب : انت تعلم ، ايها العريف ، كم ملك علي الجسر خاطري ، وكم منيت النفس بتقويضه بيدي هاتين ! كان غصة ، وكان قذى . لقد طالما تحدثت عنه الى الصحاب ، وحلمت به في اوقات نومي، وكتبت فيه الى خطيبتي ، هناك في حلب ، ابثها شوقي الى وضع الحل الصغير للمشكلة الكبرى ! (فترة ...) والان ، ايها العريف ، تهيأ واحزم امرك ، وارتقب ان نعطى الايعاز بالمسير...

(٢)

الرقيب : (مخاطبا نفسه) ما احلى الرسالة المؤرجة بعطر الحب ، تقرأ هنا ، على الحدود تعبق فيها رائحة والدم والنار والارض الزكية.

(صوت بسط رسالة) يا خطيبتي الحبيبة . لقد وصلتني البارحة رسالتك ... فقرأتها ، حتى الساعة ، عشرين مرة اويزيد ... واني لازداد شوقا الى مطالعتها كلما فرغت من مطالعتها ..

(صدى صوت الخطيبة يقرأ الرسالة)

« خطيبي المفدى ..

« اكتب اليك ، والفخار يهدهد قلبي . اني ازهو بك على اترابـــي وجاراتي . لقد حدثتهن طويلا عن ايات حماستك ، وعن توقك الى تقويض ذلك الجسر الذي يقيمه العدو اللئيم غير آبه بحق ولا منصت الى وعيد .

« ان حلك الصغير لهذه المشكلة الكبرى ، نعم الحل الذي يستأصل جذورها فلا تعود تنبت اشواك الشر والعدوان .

« وعندما تعتزم سريتكم المعسكرة تقويض الجسر ، فكلي امل ان يندب للمهمة الجليلة خطيبي الباسل . ولسوف تكتب لي ، بعد ظفرك ، مسهبا عن تسللك الى ارض العدو ، ونسفك بدقائق ما بنى باسابيع . اذاك ، ساروي خبر بطولتك لرفيقاتي ، ولن اكف عن الرواية والحديث ، فانما تتباهى العربية ببسالة رجلها في ساحة الوغى .

« ان المدينة التي احببتها مخلصا ، بخير . وانني ، كلما جلست الى النافذة اتملى النظر من قلعة الشهباء ، اتذكر مدى هيامك بهذا المنظر الخالد . وان حبك لمدينتك هنا في اقصى الشمال ، هو الذي دفعك الى حمايتها ، الى ان تبدأ بحمايتها ، ان تبدأ بحمايتها من الجنوب ، حيث العدو الغادر يتربص بوطننا الحبيب .

« واسلم لخطيبتك التي تنتظر عودتك ، مكللا بالغار ».

الرقيب : (مخاطبا نفسه) اينها الحبيبة ، كم انت مؤمنة وذكية ! انها لتحيا ، كواحد منا، التجربة النضالية التي نحياها هنا في ارض الموت (فترة ...) لزاما علي ان اخط لها رسالة قبل ان امضي . (بصوت مستأن كمن يكتب :).

« يا خطيبتي الحبيبة .

« فرغت ، اللحظة ، من قراءة رسالتك للمرة العشرين ، فزادتني ايمانا. ان الجندي على الحدود ، ليتلهف الى الكلمة النبيلة المشجعة من مثل ما افاض يراعك الزكي، لتجعل منه شعلة من قوة ومضاء .

« ساقوم ، يا حبيبتي ، بعد قليل بتقويض الجسر ، سادك اركانه . هذه المشكلة الكبرى المستعصية ، حلها الان بين يدي ، في ساعدي ، في الانامل التي تخط لك الرسالة .

« تحدثي الى صويحباتك عني . قولي لهن : خطيبي الذي قوض الجسر. قوضه بدقائق معدودة ، وعاد الى سريته سالما !

« فاذا أتاك نبأ نعيي ، فقولي لهن بفخار : قضى حبيبي على الحدود ، حفاظا على ارواحكن ... فذرفن له دمع الشكر والوفاء !

« ان في قلبي لشوقا عارما لوطني الصغير ، هناك في الشمال . بودي ان اتنشق نسيمه الطيب ، واعفر الوجه بترابه في مثل لون العقيق .

« ساعود اليك ، ايتها الحبيبة ، مظفرا .. احمل اشواقي وحبي . »

(٣)

الرقيب : (في همس) تمهل ، ايها العريف . لقد اصبحنا على مقربة منهم . حذار ان ينتبهوا لنا . اين موضعنا من حاميتنا ؟

العريف : انهم وراءنا تماما .

(حفيف زحف .. صفير صراصر الليل ..)

الرقيب : أرأيت الحارس ، على طرف الجسر ؟

(وقع اقدام بعيدة منتظمة ...)

العريف : اجل .

الرقيب : والى الثاني ، على الطرف الاخر ؟

العريف : (فترة ..) رايته .

الرقيب : تسلل الى هذا الاول .. وثب الى ظهره .. كمم فمه براحتك.. ثم اغرز مديتك في عنقه ، ولا تبق فيه على روح .. وانا انصرف الى الاخر .. (فترة) تمهل قليلا حتى يستدير ... (وقع الاقدام يتباعد ...) هيا ...

(فترة ... تنتهي بصرخة مكتومة ، فاخرى ، فقعقة سلاح ، وانهيار جسد الى الارض .. صمت مطبق..يخترقه زحف جديد..)

العريف : الحمد الله ، تمت المرحلة الاولى بسلام .

الرقيب : لنباشر العمل . مهمتنا يجب ان تنجز . انزل حقيبة المتفجرات عن ظهرك .

العريف : ها قد انزلتها .

الرقيب : هيا ،اربطها في اسفل الركيزة ، ريثما اربط حقيبتي الى الركيزة الاخرى .

(فترة ..)

العريف : قد ربطتها

الرقيب : اين « الفتيل الصاعق » ؟

العريف : قد أثبت اوله بالمتفجر .

الرقيب : هات طرفه الاخر .

العريف : دونك اياه

الرقيب : صله معي بالمتفجر . (فترة ..) اسحب .. اسحب الفتيل.. اربطه بـ « الصاعق » ، بينما اربط به « الفتيل البطيء » .

(فترة ...)

العريف : اصبح كل شيء معدا .

الرقيب : يا رب ، تمم بالخير . اسبقني ، ريثما اشعل رأس الفتيل .

العريف : هات اشعلها انا ، وامض ، انت

الرقيب : امض لا تردد .

(عود ثقاب يشتعل .. يليه وقع اقدام تجري مسرعة .. انفجار مريع ... يعقبه وابل من رصاص ..)

الرقيب : (خلال الازيز) اين انت ، ايها العريف ؟

العريف : اني هنا ، يا حضرة الرقيب . اسرع الي .

الرقيب :هانذا وراءك (فترة) ان حاميتنا ترد على رصاصهم .

(وابل من رصاص .. رصاصة قريبة تئز ..)

الرقيب : آ ...

العريف : (في جزع) ما بك ، يا حضرة الرقيب ؟

الرقيب : .. ..

العريف : ما بك ، يا رقيب ؟

الرقيب : (في صوت واهن) لا شيء.. يبدو .. ان رصاصة .. قد مست .. كتفي ..

العريف : هات يدك .. سأحملك على ظهري ... ارفع جذعك .. مل الي يا الله ، يا رب..

(ازيز متلاحق .. رصاصة قريبة اخرى ..)

الرقيب : آ .... انزلني ، ايها العريف .

العريف : ... ...

الرقيب : انزلني .

العريف : لا بد ان احملك

الرقيب : انزلني .. وسدني الارض .. دعني ههنا ، وامض في سبيلك.

العريف : لا بد انااحملك

الرقيب : اتركني .. دعني .. الجسر .. دمرناه .. (بصوت يزداد وهنا)! الجسر ... الجسر .. آه .

العريف : ايها الرقيب ! (صمت) ايها الرقيب ! (في جزع) ايها الرقيب! .. رد!.. لقد دمرت جسر العدو .. فلم اغمضت عينيك ههنا ؟

(نجيب مخنوق) اصح .. تمتع بانتصارك العظيم .. حلك الصغير قوض المشكلة الكبرى .. لم يعد ثمة جسر ... هناك بطولة .. حية .. ستروى .. (الصوت يتباعد) سيرويها الناس جميعا ..

الصدى : (صوت الخطيبة ينبعث من وراء الافق .. في نشوة) سأروى خبر بطولتك لرفيقاتي ، ولن اكف عن الرواية والحديث .... (فترة ..) خطيبي الذي قوض الجسر ، قوضه بدقائق ... (في اسى) قضى حبيبي على الحدود ، حفاظا على ارواحكن .. فذرفن له دمع الشكر والوفاء .. وفاء .. (الصدى يتباعد) قضى حبيبي بطلا .. بطلا .. وارتسم اسمه .. اسمه .. على كل لسان .. لسان ..

حلب

فاضل السباعي

من «الاصدقاء»